إثبات صفة العلو بين السلف والخلف

محمد محمود علي شحاتة

أ–ثبوت الصفة:

العلو يأتي على ثلاث معان:

1–علو القهر والغلبة.

2–علو الرتبة والمنزلة.

3–علو الذات، والفوقية الحسية على جميع المخلوقات.

ولا نزاع في المرتبتين الأوليين، وإنما النزاع في الثالثة، وهي محل البحث.

وقد ورد العلو الذاتي في نصوص كثيرة من القرآن والسنة، منها:

1–قوله تعالى: (يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ) [النحل: 50]، وقوله: (إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ) [فاطر:10]، وقوله تعالى: (تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ) [المعارج:4]، وقوله: (إِذْ قَالَ اللَّهُ يَاعِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ) [آل عمران:55]، وقوله: (بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا) [النساء:158]، وقوله: (أَأَمِنتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الأَرْضَ) [الملك:16]، والمراد بالسماء هنا: العلو؛ لأن كل ما علا فهو سماء، أو المراد ب(في): على، كقوله: (وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ) [طه:71]، فإن حروف الجر ينوب بعضها عن بعض[1].

(1) ولا يقول أحد من السلف إن الله محصور أو داخل في هذه السموات المبنية. قال البيهقي في الاعتقاد، ص107: "باب القول في الاستواء قال الله تبارك وتعالى: (الرحمن على العرش استوى)، والعرش هو السرير المشهور فيما بين العقلاء ... وقال: (أأمنتم من في السماء)، وأراد من فوق السماء، كما قال: (ولأصلبنكم في جذوع النخل)، يعني

وممن احتج بهذه الآية على إثبات العلو وأن الله فوق سمواته وفوق جميع خلقه: أبو الحسن الأشعري في الإبانة، وابن خزيمة في التوحيد، وابن بطة في الإبانة، والآجري في الشريعة، وأبو القاسم الأصفهاني في الحجة، واللالكائي في أصول اعتقاد أهل السنة، والبيهقي في الاعتقاد، وابن قدامة في إثبات صفة العلو، والذهبي في العلو، وغيرهم [1].

2-ومن السنة: قوله صلى الله عليه وسلم: «أَلَا تَأْمَنُونِي وَأَنَا أَمِينُ مَنْ فِي السَّمَاءِ يَأْتِينِي خَبَرُ السَّمَاءِ صَبَاحًا وَمَسَاءً» [2].

وقوله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ، كُلُّ دَرَجَتَيْنِ مَا بَيْنَهُمَا كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَسَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ» [3]. رواه البخاري.

ومنها حديث الجارية المشهور، وقد رواه مسلم في صحيحه عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السُّلَمِيِّ، وفيه: قَالَ وَكَانَتْ لِي جَارِيَةٌ تَرْعَى غَنَمًا لِي قِبَلَ أُحُدٍ وَالْجَوَّانِيَّةِ فَاطَّلَعْتُ ذَاتَ يَوْمٍ فَإِذَا الذِّيبُ قَدْ ذَهَبَ بِشَاةٍ مِنْ غَنَمِهَا وَأَنَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي آدَمَ آسَفُ كَمَا يَأْسَفُونَ لَكِنِّي صَكَكْتُهَا صَكَّةً فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَعَظَّمَ ذَلِكَ عَلَيَّ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا أُعْتِقُهَا قَالَ ائْتِنِي بِهَا فَأَتَيْتُهُ بِهَا فَقَالَ لَهَا: « أَيْنَ اللَّهُ قَالَتْ فِي السَّمَاءِ قَالَ مَنْ أَنَا قَالَتْ أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ قَالَ أَعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ» [4].

وهذا الحديث احتج به جمع من الأئمة على إثبات العلو لله تعالى، منهم: أبو حنيفة،

على جذوع النخل، وقال: (فسيحوا في الأرض)، يعني على الأرض، وكل ما علا فهو سماء، والعرش أعلى السماوات، فمعنى الآية والله أعلم: أأمنتم من على العرش، كما صرح به في سائر الآيات".

(1) ينظر: الإبانة، ص105، التوحيد لابن خزيمة (255/1)، الإبانة لابن بطة (138/3)، الشريعة (1079/3)، شرح أصول اعتقاد أهل السنة (430/3)، الحجة في بيان المحجة (83/2)، الاعتقاد للبيهقي، ص108، إثبات صفة العلو لابن قدامة، ص64، العلو، للذهبي، ص12.

(2) رواه البخاري (4351)، ومسلم (1064) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(3) رواه البخاري (7423).

(4) رواه مسلم (537)، والحديث رواه مالك (1468)، وأحمد (23762)، أبو داود (930).

والشافعي، وأبو الحسن الأشعري، وابن خزيمة، وأبو القاسم الأصفهاني، وابن عبد البر، واللالكائي، وابن قدامة، والذهبي[1].

وقدم له الذهبي بقوله: "فمن الأحاديث المتواترة الواردة في العلو".

وساق الحديث ثم قال: "هذا حديث صحيح رواه جماعة من الثقات عن يحيى بن أبي كثير، عن هلال بن أبي ميمونة، عن عطاء بن يسار، عن معاوية السلمي، أخرجه مسلم، وأبو داود، والنسائي، وغير واحد من الأئمة في تصانيفهم، يمرونه كما جاء، ولا يتعرضون له بتأويل ولا تحريف".

ثم قال: "وهكذا رأينا كل من يُسأل أين الله؟ يبادر بفطرته ويقول: في السماء.

ففي الخبر مسألتان:

إحداهما: شرعية قول المسلم: أين الله؟

وثانيهما: قول المسؤول في السماء، فمن أنكر هاتين المسألتين فإنما ينكر على المصطفى صلى الله عليه و سلم" [2].

ب–موقف السلف من صفة العلو:

أجمع السلف على إثبات هذه الصفة على حقيقتها، وصرحوا بأن الله تعالى فوق سمواته، فوق جميع خلقه، بائنٌ منهم، واستدلوا لذلك بما قدمنا من الأدلة وغيرها.

وقد حكى إجماعهم جماعة من الأئمة:

1- قال الإمام الأوزاعي رحمه الله (ت:157هـ): "كنا والتابعون متوافرون نقول: إن الله

---

(1) انظر على الترتيب: الفقه الأكبر لأبي حنيفة، ص51، وما نقله أبو عثمان الصابوني في عقيدة السلف وأصحاب الحديث عن الشافعي، ص188، الإبانة للأشعري، ص109، التوحيد لابن خزيمة (278/1)، الحجة في بيان المحجة (100/2، 118)، التمهيد (134/7)، شرح أصول اعتقاد أهل السنة (652) (434/3)، إثبات صفة العلو، 69، العلو للذهبي، ص14.

(2) العلو، للذهبي، ص28.

عز وجل فوق عرشه، ونؤمن بما وردت به السنة من صفاته" [1].

2- وقال الإمام **إسماعيل بن يحيى المزني رحمه الله (ت264هـ)**: "الحمد لله أحق من ذكر، وأولى من شكر، وعليه أُثني، الواحد الصَّمد الَّذي ليس له صاحبة ولا ولد، جلّ عن المثيل فَلَا شَبيه لَهُ وَلَا عديل، السَّميع البصير، العليم الخبير، المنيع الرفيع، **عَالٍ على عَرْشه فِي مجده بِذَاتِهِ**، وهو دَانٍ بِعِلْمِهِ من خلقه، أحَاط علمه بالأمور، وأنفذ في خلقه سَابق الْمَقْدُور، وَهُوَ الْجواد الغفور {يعلم خَائِنَة الْأَعْين وَمَا تخفي الصُّدُور}"[2].

وقال رحمه الله: "**عَالٍ** على عرشه **بَائِنٌ من خلقه**، مَوْجُود وليس بمعدوم ولا بمفقود" [3].

وذكر أن هذه العقيدة مجمع عليها، فقال: "هَذِه مقالات وأفعال **اجْتمع عَلَيْهَا الماضون الْأَولونَ من أَئِمَّة الهدى**، وبتوفيق الله اعْتصمَ بهَا التابعون قدوة ورضى، وجانبوا التَّكَلُّف فِيمَا كفوا فسُددوا بعون الله ووفقوا، لم يَرْغَبُوا عَن الاتباع فيقصروا، وَلم يُجَاوِزُوهُ تزيّدا فيعتدوا، فنحن بالله واثقون، وعليه متوكلون، وإليه في اتباع آثَارهم راغبون" [4].

3- وقال الإمام أبو زرعة الرازي (ت:264هـ) والإمام أبو حاتم الرازي (ت: 277هـ) فيما رواه عنهما ابن أبي حاتم رحمه الله، قال: سألت أبي وأبا زرعة عن مذاهب أهل السنة في أصول الدين، وما أدركا عليه العلماء في جميع الأمصار وما يعتقدان في ذلك؟

فقالا: أدركنا العلماء في جميع الأمصار حجازا وعراقا وشاما ويمنا فكان مذهبهم: الإيمان قول وعمل يزيد وينقص... وأن الله عز وجل على عرشه بائن من خلقه، كما وصف نفسه في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، بلا كيف، أحاط بكل شيء علماً (ليس

---

(1) رواه البيهقي في الأسماء والصفات (304/2)، وصححه ابن القيم في اجتماع الجيوش، ص69، وجوّد الحافظ إسناده في الفتح (406/13).

(2) شرح السنة، للمزني، ص75، ت: جمال عزون، ط. مكتبة الغرباء الأثرية.

(3) السابق، ص80

(4) السابق، ص89

كمثله شيء وهو السميع البصير)" [1].

4- وقال شيخ الإسلام أبو عثمان الصابوني (372هـ-449هـ): "ويعتقد أصحاب الحديث ويشهدون أن الله فوق سبع سمواته، على عرشه مستوٍ، كما نطق به كتابه... وعلماء الأمة وأعيان الأئمة من السلف رحمهم الله لم يختلفوا في أن الله على عرشه، وعرشه فوق سمواته" [2].

5- وقال الإمام أبو نصر السجزي (ت: 444هـ) [3] في كتابه الإبانة: "فأئمتنا كسفيان الثوري ومالك وسفيان بن عيينة وحماد بن سلمة وحماد بن زيد وعبد الله بن المبارك وفضيل بن عياض وأحمد بن حنبل وإسحاق بن إبراهيم الحنظلي متفقون على أن الله سبحانه بذاته فوق العرش، وأن علمه بكل مكان، وأنه يرى يوم القيامة بالأبصار فوق العرش، وأنه ينزل إلى سماء الدنيا، وأنه يغضب ويرضى، ويتكلم بما شاء، فمن خالف شيئا من ذلك فهو منهم بريء، وهم منه براء" [4].

6-وقال الإمام ابن عبد البر (ت:463هـ) بعد ذكر حديث النزول :"وفيه دليل على أن الله عز وجل في السماء على العرش من فوق سبع سموات كما قالت الجماعة، وهو من حجتهم على المعتزلة والجهمية في قولهم: إن الله عز وجل في كل مكان وليس على العرش"[5].

---

(1) رواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (201/1-197).

(2) اعتقاد السلف وأصحاب الحديث، للصابوني، ص175.

(3) هو عبيد الله بن سعيد بن حاتم الوائلي البكري، أبو نصر السجزي، نسبة إلى سجستان، على غير القياس. الإمام الحافظ المجود شيخ السنة، طاف البلاد، وسمع بخراسان والعراق والحجاز ومصر، وجاور بمكة إلى أن توفي به. له: الإبانة في الرد على الزائغين في مسألة القرآن، ورواية الأبناء عن الآباء، الرد على من أنكر الحرف والصوت. توفي سنة 444هـ. انظر: الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب، لابن ماكولا، ط. دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى 1411هـ-1990م، (551/4)، الأنساب (279/13)، معجم البلدان (356/5)، السير (654/17).

(4) نقله شيخ الإسلام في درء التعارض (250/6)، والذهبي في سير أعلام النبلاء (656/17)، وفي العلو، ص248. وانظر: رسالة السجزي إلى أهل زبيد، ص187 فقد قرر فيه أن "اعتقاد أهل الحق أن الله سبحانه فوق العرش بذاته".

(5) التمهيد (129/7).

وثمة إجماعات كثيرة، يرجع إليها في مظانها[1].

وقد احتج جماعة من الأئمة على إثبات العلو بالفطرة، وهي توجه من يدعو الله إلى جهة الفوق.

وممن استدل بذلك: أبو حنيفة، والأشعري، وابن أبي شيبة، وابن عبد البر، وابن قدامة[2].

قال ابن عبد البر رحمه الله: "ومن الحجة أيضاً في أنه عز وجل فوق السموات السبع: أن الموحدين أجمعين من العرب والعجم إذا كربهم أمرٌ أو نزلت بهم شدة، رفعوا وجوههم إلى السماء يستغيثون ربهم تبارك وتعالى، وهذا أشهر وأعرف عند الخاصة والعامة من أن يحتاج فيه إلى أكثر من حكايته؛ لأنه اضطرار لم يؤنبهم عليه أحد، ولا أنكره عليهم مسلم" [3].

وظاهرٌ من حكاية أقوال السلف في هذه المسألة أنهم يثبتون علواً حسياً أو مكانياً يقررون فيه أن الله فوق العالم، أو فوق العرش الذي على السموات، وقد أكد هذا بعضُهم بالتصريح بأنه بذاته على العرش، تحقيقاً لصفة العلو، ومنعاً لتأويل كلامهم بأن المراد علو القهر أو الشأن. وممن صرح بذلك: الإمام إسماعيل بن يحيى المزني رحمه الله (ت264هـ)، والحافظ محمد بن عثمان بن أبي شيبة (ت297هـ)، والإمام ابن أبي زيد القيرواني (ت386هـ) [4]، والإمام يحيى بن عمار السجستاني الواعظ (ت422هـ)، والإمام أبو عمرو الطلمنكي (ت429هـ)، والإمام أبو نصر السجزي (ت444هـ)، والإمام أبو الحسن محمد بن عبد

---

(1) ينظر: العلو، والعرش، كلاهما للذهبي، الفتوى الحموية الكبرى لابن تيمية، اجتماع الجيوش الإسلامية، لابن القيم.

(2) انظر: الفقه الأكبر لأبي حنيفة، ص51، الإبانة، للأشعري، ص105، العرش، لابن أبي شيبة، ص291، التمهيد، لابن عبد البر (134/7)، إثبات صفة العلو، لابن قدامة، ص63.

(3) التمهيد (134/7).

(4) ينظر على الترتيب: شرح السنة، للمزني، ص75، العرش، لابن أبي شيبة، ص291، الرسالة لابن أبي زيد القيرواني، ص5، الكلام على مسألة الاستواء على العرش، لابن عبد الهادي، ص79، والذهبي في العرش (438/2).

الملك الكرجي الشافعي (ت532هـ)، والإمام عبد القادر الجيلاني (ت561هـ) [1].

كما صرحوا بأنه تعالى بائن من الخلق، وأنه ليس في الأرض أو في كل مكان كما تقول الجهمية، ومنهم من استدل للعلو والبينونة بالعقل، في بيانٍ صريح أن الله خارج العالم.

قال الإمام أحمد رحمه الله: " إذا أردت أن تعلم أن الجهمي كاذب على الله حين زعم أن الله في كل مكان ولا يكون في مكان دون مكان، فقل: أليس الله كان ولا شيء؟ فيقول: نعم، فقل له: حين خلق الشيء خلقه في نفسه أو خارجاً من نفسه؟

فإنه يصير إلى ثلاثة أقوال لا بد له من واحد منها:

إن زعم أن الله خلق الخلق في نفسه، كفر حين زعم أن الجن والإنس والشياطين في نفسه.

وإن قال: خلقهم خارجاً من نفسه ثم دخل فيهم، كان هذا كفراً أيضاً؛ حين زعم أنه دخل في مكان وحش قذر رديء.

وإن قال: خلقهم خارجاً من نفسه ثم لم يدخل فيهم، رجع عن قوله أجمع، **وهو قول أهل السنة)** [2].

ج–موقف الخلف من صفة العلو:

ذهب كثير من المتكلمين إلى إنكار العلو الذاتي، والزعم بأنه يستلزم التحيز والجسمية، ثم افترقوا على قولين:

الأول: قول من يقول: إن الله بذاته في كل مكان، وهذا قول الجهمية.

والثاني: قول من يقول: إن الله لا داخل العالم ولا خارجه، ولا متصلاً به، ولا منفصلاً عنه، وهذا قول متأخري الأشعرية.

---

(1) ينظر: الغنية، لعبد القادر الجيلاني، ص86، العرش، للذهبي (438/2)، والعلو، له، ص235، الكلام على مسألة الاستواء على العرش، لابن عبد الهادي، ص79.

(2) الرد على الزنادقة والجهمية، ص40.

قال الشهرستاني: "فإنا نقول: ليس بداخل العالم ولا خارج؛ لأن الدخول والخروج من لوازم المتحيزات والمحدودات"[1].

وقد صرح جماعة من الأئمة بأن القول بأن الله لا داخل العالم ولا خارجه قول غير معقول، وأن هذه صفة المعدوم، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، منهم: ابن كلاب (ت240هـ)، وعبد العزيز الكناني (ت229هـ)، والذهبي، والشوكاني[2].

وقد تقدم أن الأشعري وقدماء أصحابه على إثبات العلو.

وقد تأول المتأخرون نصوص العلو بتأويلات عدة.

ونكتفي بإيراد كلامهم حول قوله تعالى: (أَأَمِنتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الأَرْضَ) [الملك:16]، ، وحول حديث الجارية.

قال الرازي رحمه الله في تفسير الآية: "واعلم أن المشبهة احتجوا على إثبات المكان لله تعالى بقوله: (أأمنتم من في السماء)، والجواب عنه أن هذه الآية لا يمكن إجراؤها على ظاهرها باتفاق المسلمين، لأن كونه في السماء يقتضي كون السماء محيطا به من جميع الجوانب، فيكون أصغر من السماء، والسماء أصغر من العرش بكثير، فيلزم أن يكون الله تعالى شيئاً حقيراً بالنسبة إلى العرش، وذلك باتفاق أهل الإسلام محال، ولأنه تعالى قال: (قل لمن ما في السماوات والأرض قل لله) [الأنعام: 12]، فلو كان الله في السماء لوجب أن يكون مالكاً لنفسه وهذا محال، فعلمنا أن هذه الآية يجب صرفها عن ظاهرها إلى التأويل"[3].

وقد تقدم ذكر من استدل بالآية على إثبات العلو من السلف والأئمة، لا من المشبهة كما يقول الرازي. ثم هو رحمه الله قد بنى استحالة الأخذ بظاهر على ما فهمه من أن ظاهرها

---

(1) نهاية الإقدام في علم الكلام، ص67، وانظر: الاقتصاد في الاعتقاد، لأبي حامد الغزالي، ص34، أساس التقديس، للرازي، ص57، ، شرح المواقف (36/3)، ، غاية المرام في علم الكلام، للآمدي، ص198.

(2) ينظر النقل عنهم في: شرح لمعة الاعتقاد، د. محمد بن محمود آل خضير، ص228-232.

(3) تفسير الرازي (372/30).

أن الله محصور في السماء، وقد تقدم النقل عن البيهقي-ومثله لأبي الحسن الأشعري- أن السماء يراد بها العلو، أو أن (في) بمعنى (على) فينتفي المحذور الذي ذكره.

وأما تأويل الآية، فقد ذكر فيه وجوهاً حاصلها:

1-أأمنتم من في السماء عذابه، وذلك لأن عادة الله تعالى جارية، بأنه إنما ينزل البلاء على من يكفر بالله ويعصيه من السماء فالسماء موضع عذابه تعالى.

2-أن العرب كانوا مقرين بوجود الإله، لكنهم كانوا يعتقدون أنه في السماء على وفق قول المشبهة، فكأنه تعالى قال لهم: أتأمنون من قد أقررتم بأنه في السماء، واعترفتم له بالقدرة على ما يشاء أن يخسف بكم الأرض.

3-أأمنتم من في السماء سلطانه وملكه وقدرته، والغرض من ذكر السماء تفخيم سلطان الله وتعظيم قدرته.

4-أأمنتم من في السماء المَلَك الموكل بالعذاب، وهو جبريل عليه السلام، والمعنى أن يخسف بهم الأرض بأمر الله وإذنه[1].

وأما حديث الجارية، فقد قال الجويني: "فإن قال قائل: فما وجه كلامكم في قوله صلى الله عليه وسلم لها: أين الله؟

قلنا: في ذلك وجهان، أحدهما: أنه صلى الله عليه وسلم كلمها على ما قدَّرها عليه، وحسبها معتقدة له، كما روي أنه صلى الله عليه وسلم قال لأم جميل: كم تعبدين من إله؟ قالت: خمسة. وإنما يسأل عما يتوقع تعدده، ولا يجوز حمل كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم على توقع العدد، فكذلك لا يحمل سؤاله على توقع المكان، ولكن سلك بمثل هذا الكلام مسلكَ الاستنطاق بالحق والاستكشاف عن المعتقد، وهذا نحو قوله تعالى: (أين شركائي)، فليس المراد به تثبيت الشركاء، ولكن أراد به استنطاق المشركين بما يخزيهم ويفضحهم

(1) تفسير الرازي (372/30).

على الملأ العظيم" [1].

وهذا تأويل عجيب، فلئن سلَّمنا أنه خاطبها بحسب ظنه فيها، واستنطقها ليقف على معتقدها، فها هي تجيب بالباطل –بزعم الجويني– فما صحَّح لها صلى الله عليه وسلم، ولا أنكر ولا بيّن، بل كافأها بالعتق!

وأضاف بعضهم وجهين آخرين في تأويل الحديث:

الأول: "أن المهم في صدر البعثة بالنسبة إلى العامة إنما كان إثبات وجود الباري تعالى ووحدانيته بالإلهية، فعاملهم بما يؤنسهم مما ألفوه وأقرهم على اعتقاد ثبوت وجوده تعالى وانفراده بالإلهية؛ لأن أذهانهم لا تحتمل النظر فيما لم يألفوه من الأدلة الدقيقة والتفصيل الكلي، فيقع منهم أولا بالإثبات الجملي في ذلك، ولا طريق له إلا بما ألفوه مما تقبله أذهانهم، فلما أشارت إلى السماء علم النبي صلى الله عليه وسلم عظمة الله تعالى عندها ووحدانيته ونفرتها من آلهة الأرض عندها التي كانوا يعبدونها، فلما فهم ذلك منها سألها عن نفسه الكريمة ليعلم إقرارها بنبوته التي هي ثانية عقد الإسلام، فلما قالت: رسول الله، علم إسلامها"[2].

وهذا موافق لما قدمناه عن الغزالي والرازي والتفتازاني من أن الشريعة جاءت بالتشبيه، ولم تصرح بالتنزيه لئلا يكفر أكثر الناس، وقد تقدم بطلان ذلك.

الثاني: "يجوز أن يراد ب (أين): المنزلة والرتبة في صدرها، كما يقال: أين فلان من فلان، وأين زيد منك توسعاً في الكلام ولا يراد بذلك إلا الرتبة والمنزلة، ويقول الإنسان لصاحبه أين محلي منك فيقول في السماء يريد أغلى محل"[3].

وهذا تكلّف مخالف للظاهر، فلم يكن السؤال عن منزلة الله في صدرها، كما هو بين.

ومن المتكلمين من أعرض عن تأويل هذا الحديث، واكتفى برده لأنه حديث آحاد، كما

(1) الشامل، للجويني، ص568.

(2) إيضاح الدليل، لابن جماعة، ص171.

(3) السابق، ص172.

فعل الرازي، لكنه أضاف إلى ذلك الطعن في الصحيحين والزعم أن فيهما أحاديث من وضع الملاحدة، يعني أحاديث الصفات!

قال الرازي: "الثالث: وهو أنه اشتهر فيما بين الأمة أن جماعة من الماحدة وضعوا أخباراً منكرة واحتالوا في ترويجها على المحدثين، والمحدثون لسلامة قلوبهم ما عرفوها بل قبلوها، وأي منكر فوق وصف اله تعالى بما يقدح في الإلهية ويبطل الربوبية، فوجب القطع في أمثال هذه الأخبار بأنها موضوعة.

وأما البخاري والقشيري فهما ما كانا عالمين بالغيوب، بل اجتهدا واحتاطا بمقدار طاقتهما، فأما اعتقاد أنهما علما جميع الأحوال الواقعة في زمان الرسول صلى الله عليه وسلم إلى زمامنا فذلك لا يقوله عاقل، غاية ما في الباب أنا نحسن الظن بهما وبالذين رويا عنهم إلا أنا إذا شاهدنا خبراً مشتملاً على منكر لا يمكن إسناده إلى الرسول صلى الله عليه وسلم **قطعنا بأنه من أوضاع الملاحدة، ومن ترويجاتهم على أولئك المحدثين.**

الرابع: أن هؤلاء المحدثين يجرحون الروايات بأقل العلل أنه كان مائلا إلى حب علي فكان رافضياً لا تقبل روايته، وكان معبد الجهني قائلاً بالقدر فلا تقبل روايته، **فما كان فيهم عاقل يقول:** إنه وصف الله تعالى بما يبطل إلهيته وربوبيته فلا تقبل روايته، إن هذا من العجائب" [1].

وهذا كلام باطل شنيع، تغني حكايته عن رده.

(1) أساس التقديس، ص124.